المحاضرة الثانية: تاريخ القرآن: نزول القرآن، ظاهرة الوحي، التنجيم.

1_ تاريخ القرآن.

مر تاريخ القرآن الكريم بثلاث مراحل دارت كلها حول جمعه وكتابته، ونستطيع القول بأن القرآن الكريم جمع ثلاث جمعات، نذكرها هنا مختصرة ثم نقوم بتفصيلها في المحاضرة المقبلة.

الأولى:

في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، لكن لم يكن مجموعا في موضع واحد ولا مرتبا في سوره، بل كان مفرقا بين الصحابة مكتوبا على العسب (جريد النخل) واللخاف (صفائح الحجارة) والرقاع (الجلود) ونحوها، مع كونه محفوظا في الصدور، روي الترمذي في سننه عن زيد بن ثابت قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرقاع[1]، وروى ابن حبان في صحيحه عن البراء قال لما نزلت {لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} [سورة النساء: 95] قال النبي صلى الله عليه وسلم: ادع لى زيدا وليجئ باللوح والدواة والكتف، ثم قال: أكتب "لا يستوي القاعدون"... الحديث[2]

وأخرج مسلم من حديث أبى سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تكتبوا عنى ومن كتب عني غير القرآن فليمحه"[3].

الثانية:

جمع أبى بكر الصديق رضى الله عنه، روى البخاري في صحيحه أن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال: أُرسل إلى أبي بكر مقتل أهل اليمامة فقال: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر (اشتد) يوم اليمامة[4] بقراء القرآن، واني أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن، واني أرى أن تأمر بجمع القرآن، فقلت لعمر: كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال عمر: هذا والله

---

[1] محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، الجامع الصحيح سنن الترمذي، تح: أحمد محمد شاكر والألباني، دار إحياء التراث العربي – بيروت، دط، ص (437/5).

[2] محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية ، 1414 – 1993، ص (228/1).

[3] مسلم، أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، دار الجيل ودار الآفاق الجديدة، بيروت، دت، ص (229/8).

[4] اليمامة واقعة جهة نجد وكانت مع مسيلمة الكذاب الذي ادعى النبوة وقد قتل في هذه الوقعة وابتدأت غزوتها في أواخر عام الحادي عشر وانتهت في ربيع الأول عام الثاني عشر للهجرة وفيها قتل من القراء سبعون قارئا من الصحابة وقيل سبعمائة.

خير، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ورأيت في ذلك الذى رأى عمر[5]، وبقيت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله تعالى ثم عند عمر ثم عند حفصة.

الثالثة:

جمعه عثمان بن عفان رضي الله عنه بعدما رأى اختلاف الناس في قراءته، فكان بعضهم يقول إن قراءتى خير من قراءتك حتى تضاربوا، وكان جمعه له بحرف واحد وهو لغة قريش وترك الأحرف الستة الباقية، روى البخاري عن أنس بن مالك أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها أليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن ابن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق[6]، تم ذلك سنة خمس وعشرين للهجرة تحت عناية مركزة من الصحابة واحتياط شديد حتى إنهم كانوا لا يعتمدون على مجرد حفظ من يحفظه أو كتابة من كتبه بقدر ما يعتنون بكتابته ممن سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة مع إحضاره شاهدين عدلين، كما أوجبوا على من يكتبه أن يكون أكتب الناس وأعربهم[7].

2_ نزول القرآن الكريم.

نزل القرآن الكريم على مرحلتين وبطريقتين مختلفتين، أما الأولى فهي نزوله مجملا في ليلة القدر من شهر رمضان المبارك من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، أما الثانية فهي نزوله مفرقا على الأيام والشهور مدة ثلاث وعشرين سنة من السماء الدنيا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وفي النزول الأول قال تعالى: "شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ" [سورة البقرة/185]، وقال: "إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ" [سورة القدر/1]

---

[5] محمد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تح: محمد الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422ه، ص (4/ 1720).
[6] صحيح البخاري، مصدر سابق، ص (4/ 1908).
[7] محمد طاهر الكردي، تاريخ القرآن الكريم، مطبعة الفتح، جدة، 1946م، (ص/ 52).

وروى الحاكم في مستدركه بإسناد صححه الذهبي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: فصل القرآن من الذكر فوضع في بيت العزة في السماء الدنيا فجعل جبريل عليه السلام ينزله على النبي صلى الله عليه وسلم ويرتله ترتيلا[8].

3_ النبي.

النبي في اللغة مشتق من النبأ وهو الخبر ذو الفائدة العظيمة، قال تعالى: { عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ } (النبأ: 1، 2)، وسمي النبي نبيًّا لأنه مُخبرٌ من الله تعالى، وقيل النبي مشتق من النباوة وهي الشيء المرتفع، وسمي النبي نبيًّا على هذا المعنى لرفعة محله على سائر الناس، قال تعالى:"وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا" [سورة مريم: 57]

الرسول: في اللغة فهو مشتق من الإرسال وهو التوجيه، قال تعالى مخبرًا عن ملكة سبأ: "وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ" [سورة النمل: 35] وقد اختلف العلماء في تعريف كل من النبي والرسول في الشرع على أقوال أشهرها أن النبي هو من أوحى الله إليه بما يفعله ويأمر به المؤمنين، والرسول هو من أوحى الله إليه وأرسله إلى من خالف أمر الله ليبلغ رسالة الله، والنبي هو من نبأه الله بأمره ونهيه ليخاطب المؤمنين ويأمرهم بذلك ولا يخاطب الكفار ولا يرسل إليهم، وأما الرسول فهو من أرسل إلى الكفار والمؤمنين ليبلغهم رسالة الله ويدعوهم إلى عبادته، وليس من شرط الرسول أن يأتي بشريعة جديدة فقد كان يوسف على ملة إبراهيم، وداود وسليمان كانا على شريعة التوراة وكلهم رسل، قال تعالى: " وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا " [سورة غافر: 34]، وقد يطلق على النبي أنه رسول كما قال تعالى:" وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ " [سورة الحج: 52][9].

4_ الوحي:

أ_ **الوحي لغة**: قال ابن فارس في مقاييس اللغة: "الواو والحاء والحرف المعتل أصل يدل على إلقاء علم في إخفاء إلى غيرك"[10]، إذن فمعنى الوحي في اللغة هو الإعلام الخفي السريع الخاص بمن يوحى إليه

---

[8] محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، مع تعليقات الذهبي وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1990/1411م، ص (242/2).

[9] صالح آل الشيخ وآخرون، أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، السعودية، ط1، 1421ه، (ص/ 157)

[10] ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، دط،1399ه/م1979، ص (70/6).

بحيث يخفى على غيره، و يدخل تحت ذلك أنواع عديدة من الإعلام و منها:
- الإلهام الغريزي كالوحي إلى النحل والنمل: "وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ" [سورة النحل: 68].

_ إلهام الخواطر البشرية بما يلقيه الله في روع الإنسان السليم الفطرة الطاهر الروح كالوحي إلى أم موسى: "وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ " [سورة القصص: 7].
- وسوسة الشيطان كقول تعالى: "شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا" [سورة الأنعام: 112].

- الإشارة المفهمة: "فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا" [سورة مريم: 11].

الوحي في الشرع : هو تكليم الله سبحانه واحدا من عباده بطريقة من طرق الوحي .

وصور الوحي هي:

1. أن يكون بالرؤيا الصادقة.
2. أن يكون بإلهام النبي في حالة اليقظة وإلقاء المعنى في قلبه من غير أن يرى الملك وتظهر عليه علامات يعرف من خلالها نزول الوحي عليه كالتعرق الشديد وثقل الجسم ..
3. أن يكون بتكليم النبي من وراء حجاب وبشكل مباشر ويسمع النبي الكلام .
4. ويكون بتكليم النبي بواسطة جبريل عليه السلام.

ب _طرق الوحي:

يأتي الوحي عن طريق جبريل عليه السلام والغالب ألا يُرى شكله وإنما تظهر علامات الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم كالتعرق الشديد وثقل جسمه، وقد رُأي جبريل في صورته الحقيقية في أول نزول للقرآن الكريم، وقد يأتي جبريل على صورة رجل كما في حديث عمر بن الخطاب عن الإيمان والإسلام والإحسان، كما تعتبر رؤيا الأنبياء شكلا من أشكال الوحي، جاء في حديث عائشة رضي الله عنها أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول، قالت عائشة

رضي الله عنها: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا[11].

ج _ صدق ظاهرة الوحي: سجل القرآن الكريم شبهة أوردها كفار قريش حين زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتلقى هذا الوحي من بعض العرب العارفين بأخبار الأمم السابقة، قال تعالى: "وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا" [سورة الفرقان/5]، وأورد القرآن الكريم أجوبة كثيرة ودامغة لهذه الشبهة منها حدوث بعض المشكلات في مجتمع الصحابة تؤثر سلبا على حياتهم بما فيهم النبي صلى الله عليه وسلم ولا يستطيع أحد الفصل فيها حتى ينزل الوحي بعد أيام أو شهور كما نجده في قصة الإفك الشهيرة، فلو كان النبي صلى الله عليه وسلم قادرا على الإتيان بالفصل في هذه المشكلات لما تأخر كل تلك المدة، وكان عليه الصلاة والسلام يُسأل من طرف المشركين أسئلة تحدي وتعجيز فيظهر عجزه فيها، ثم ينزل الوحي بالإجابة الشافية لتلك الأسئلة، وكانت تنزل عليه بعض الآيات تؤنبه على بعض تصرفاته وتكشف ما في نفسه من نوايا وأسرار، ولا يمكن لأي شخص في مقام دعوة الناس وجمعهم نحوه أن يفعل ذلك، كما في مضمون الوحي إخبار بقضايا من الغيب وقع صدقها بعد سنوات وهذا ملا يمكن للبشر أن يتكلموا بمثله..

الخلاصة : وخلاصة ما يمكن أن نذكره في ظاهرة الوحي ما يلي:

1. أنها حالة غير اختيارية.
2. وهي عارض غير عادي.
3. وهي قوة خارجية لأنها لا تتصل بنفس النبي صلى الله عليه وسلم إلا حينا بعد حين.
4. وهي قوة عالمة لأنها توحي إليه علما.
5. وهي قوة أعلى من قوة النبي صلى الله عليه وسلم لأنها تحدث في نفسه وبدنه تلك الآثار العظيمة.
6. وهي قوة خيرة معصومة لأنها لا توحي إلا بالحق ولا تأمر إلا بالرشد[12].

د_ بدايات الوحي:

قيل أن أول ما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم سورة الفاتحة، وقيل "يا أيها المدثر قم فأنذر"، وقيل بسم الله الرحمان الرحيم[13].. ولكن أصح الأقوال عند المحققين كالسيوطي وغيره أن أول ما نزل هو قوله تعالى: "اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ،

---

[11] محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح المختصر، تح: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط3، 1407ه/م1987، ص (4/1).

[12] النبأ العظيم، مرجع سابق، (ص/ 102).

[13] مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة 1421هـ / 2000م، ص 65.

عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ" [سورة العلق:1_ 5] بدليل ما رواه الشيخان وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها قالت: "أول ما بُدِئَ به رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم, فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبِّبَ إليه الخلاء فكان يأتي حِراء فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد، ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة رضي الله عنها فتزوده لمثلها حتى فاجأه الحق وهو في غار حِراء، فجاءه المَلَك فيه فقال: اقرأ، قال رسول الله, صلى الله عليه وسلم: فقلت: "ما أنا بقارئ" ، فأخذني فغطَّني حتى بلغ مني الجَهْد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: "ما أنا بقارئ" ، فغطَّني الثانية حتى بلغ مني الجَهْد ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: "ما أنا بقارئ" ، فغطَّني الثالثة حتى بلغ مني الجَهْد ثم أرسلني فقال: "اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ" حتى بلغ: "مَا لَمْ يَعْلَمْ"، فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم بها ترجف بوادره.

5_ تنجيم القرآن الكريم.

_ معنى التنجيم في اللغة هو التفريق، يقال نجم المال تنجيما إذا أداه نجوما أي أقساطا مفرقا.

وتنجيم القرآن اصطلاحا هو نزوله مفرقا على دفعات، قال تعالى: "وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً" [سورة الإسراء 106]

_ مدة التنجيم:

نزل القرآن منجما في مدة ثلاث وعشرين سنة.

_ **كمية النازل في كل نجم**: كانت كمية الآيات تتفاوت في النزول، فأحيانا كانت تنزل آية واحدة وأحيانا بعض آية وأحيانا كانت تنزل على النبي صلى الله عليه وسلم الآيتين والخمس والعشر، وأحيانا تنزل سورة كاملة كما في سورة الفاتحة والكوثر والمرسلات..

_ **شبهة حول التنجيم:** اعترض المشركون من قريش على ظاهرة التنجيم وقالوا لماذا لم ينزل القرآن جملة واحدة كما نزلت الكتب السماوية السابقة؟ ويقصدون أن اختلاف طريق النزول يدل على اختلاف المصدر، أي لو كان القرآن من عند الله لنزل مجملا، لكن الله تعالى سجل هذه الشبهة وأجاب عنها وترك للعلماء استنتاج بقية الحكم والأسرار المتعلقة بالتنجيم، قال تعالى: "وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا" [سورة الفرقان/32]، وذكر الإمام الزرقاني حكما أربعة أساسية للتنجيم هي:

_ **الوجه الأول**: أن في تجدد الوحي وتكرار نزول الملك به من جانب الحق إلى رسوله صلى الله عليه وسلم سرورا يملأ قلب الرسول وغبطة تشرح صدره، وكلاهما يتجدد عليه بسبب ما يشعر به من هذه العناية الإلهية وتعهد مولاه إياه في كل نوبة من نوبات هذا النزول.

_ **الوجه الثاني:** أن في التنجيم تيسيرا عليه من الله في حفظه وفهمه ومعرفة أحكامه وحكمه، وذلك مطمئن له على وعي ما يوحى إليه حفظا وفهما كما أن فيه تقوية لنفسه الشريفة على ضبط ذلك كله.

_ **الوجه الثالث:** أن في كل نوبة من نوبات هذا النزول المنجم معجزة جديدة غالبا حيث تحداهم كل مرة أن يأتوا بمثل نوبة من نوبات التنزيل فظهر عجزهم عن المعارضة وضاقت عليهم الأرض بما رحبت، ولا شك أن المعجزة تشد أزره وترهف عزمه باعتبارها مؤيدة له ولحزبه خاذلة لأعدائه ولخصمه.

_ **الوجه الرابع:** أن في تأييد حقه ودحض باطل عدوه المرة بعد الأخرى تكرارا للذة فوزه وفلجه بالحق والصواب وشهوده لضحايا الباطل في كل مهبط للوحي والكتاب، وإن كل ذلك إلا مشجع للنفس مقو للقلب والفؤاد والفرق بين هذا الوجه والذي قبله هو الفرق بين الشيء وأثره أو الملزوم ولازمه فالمعجزة من حيث إنها قوة للرسول ومؤيدة له مطمئنة له ومثبتة لفؤاده بقطع النظر عن أثر انتصاره وهزيمة خصمه بها[14].

تلخيص حِكم التنجيم وأسراره:

1. تثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم ومؤانسته بالوحي في الظروف الصعبة.
2. تسهيل حفظه.
3. إنزال الحجة بعد الحجة والاستمرار في إثبات صدق الدين والنبوة.
4. فضح المنافقين والمشركين في مخططاتهم المتكررة ونياتهم السيئة.
5. رعاية المجتمع الإسلامي بالتدرج والأخذ بيده في الحياة الجديدة بالتأني.

[14] محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط3، دت، ص (53/1).